جامعة المنصورة
كليـة الآداب

الإنسان الكامل والمطلع فى فكر
الشيخ محمد بن حمزة الفنارى الصوفى المتفلسف

إعـــداد

دكتوره/ نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين
مدرس الفلسفة الإسلامية ـ قسم الفلسفة
كلية الآداب – جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الحادى و الخمسون – أغسطس ٢٠١٢

الإنسان الكامل والمطلع فى فكر
الشيخ محمد بن حمزة الفناري الصوفى المتفلسف

د. نيفين إبراهيم إبراهيم ياسين

تقديم :

جاء اختيارى لهذا العنوان " المطلع والكامل " لإدراكى أن نظرية الكمال قد احتلت مساحة واسعة فى الفكر الإسلامى الصوفى والمتفلسف ولعل نقطة البداية قد تمثلت فيما عرضه الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بدوى فى كتابة " الإنسان الكامل فى الإسلام " فى ترجمته الشهيرة لمقالة " هانز هنيرش " عن الإنسان فى كتب القباله وحديثه عن أسطورة الكيمورث أو الجيمورد الذى ينظر إليه على أنه ماهية كونية فحيثما أمكن يلعب الإنسان الأول الدور الرئيسى فى نشأة الكون ، وربما كانت هذه الفكرة هى أحد المؤثرات فى قضية الإنسان الفاضل التى أثارها إخوان الصفا فى رسائلهم ، وامتدادها عند " محيى الدين بن عربى " فى نظريته فى تأنيس الإنسان والتى آثارها لأول مرة الدكتور إبراهيم ياسين فى بحثه القيم " تأنيس الإنسان فى الفكر الصوفى المتفلسف " والمنشور فى الكتاب التذكارى عن الراحل الدكتور عبدالهادى أبوريده والصادر جامعة الكويت عام ١٩٩٣، وكذلك نظريته فى الإنسان الكامل والتى عرض لها المرحوم الدكتور أبوالعلا عفيفى فى تعليقه على كتاب " فصوص الحكم " للشيخ الأكبر " محيى الدين بن عرابى " المتوفى (٦٣٨هـ) والتى اكتملت عند تلميذه صدر الدين القونوى المتوفى (٦٧٣هـ) ثم تطورت على يد " عبدالكريم الجيلى " المتوفى (٨٣٥هـ) فى كتابه الإنسان الكامل فى معرفة المتوفى الأوائل والأواخر .

ثم يأتى بعد ذلك شيخ متعمق فى التصوف الفلسفى وعلم الفقه والتفسير هو " محمد بن حمزة الفناري " المتوفى (٨٣٤هـ) والذى جاء ذكره فيما عرض له الدكتور إبراهيم ياسين فى كتابه الموسوم " المدخل إلى التصوف الفلسفى " ، والذى أطلعنا فيه

على أن الفنارى هو شارح من شراح مصنف " القونوى " الموسوم " مفتاح غيب الجمع والوجود " ، والذى شرحه شرحاً موسعاً فى كتابه " مصباح الأنس بين المعقول والمشهود فى شرح مفتاح غيب الجمع والوجود " وهو المصنف المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٨٨ تصوف بمكتبة طلعت باشا .

وقد حوى هذا الشرح النفيس الأسس النظرية لتصور " الفنارى " لنظرية تعد امتداداً " لنظرية الكمال والتأنيس [١] وهو تصوره للإنسان المطلع ومقام الإطلاع أو ما فوق الإطلاع ، وهو المقام الذى يُعد مصدراً للعلم الأشرف والأكمل الذى يأتى كشفاً مستمداً من العلم الأتم الذى له كمال الاحاطة ، وهو علم العقل الأول بالحق وبنفسه .

ومن هنا كان اهتمامى بالمطلع ومقام الإطلاع باعتباره من مقامات الكمال . وباعتبار المطلع من اهل الكشف والشهود . ولما كان الفنارى هو أول من صاغ هذا المصطلح فى اعتقادى لذلك حاولت قدر جهدى البحث عن جذور هذه النظرية فيما قدم فى شرحه النفيس " مصباح الأنس " وكذا فيما ورد فى المعاجم والموسوعات الصوفية والشروح المختلفة ، وجعلت هدف هذا البحث استكمال روافد نظرية الكمال التى حاول أستاذى الدكتور إبراهيم ياسين بنائها وتتبع روافدها فى الإنسان المؤنس والإنسان المطلع وبناءً على تلك المصطلحات التى تضمنها مؤلفه المعروف " دلالات لمصطلح فى التصوف الفلسفى " . والذى صدر عن دار المعارف المصرية عام ١٩٩٤م .

وسوف يعنى هذا البحث بالكشف عن الفنارى اسماً ولقباً وموطناً ومكانه، وكذلك التعرف على مؤلفاته والمجالات التى عنى بها ، وكذلك آراء معاصريه ومريديه

---

[١] نظرية تأنيس الإنسان هى من النظريات التى عرض لها لأول مرة الدكتور إبراهيم ياسين فى كتابه : المدخل إلى التصوف الفلسفى السيكوميتافيزيقى ، مكتبة بلال ، المنصورة ، ١٩٩٣م.

وتلاميذه فيه كلما كان لذلك ممكناً ، وتكشف كذلك عن أسلوبه فى مصنفاته ومكانته العلمية والسياسية عند السلاطين كغير من كبار الصوفية .

ثم أحاول أن أعرض فى القسم الثانى من هذا البحث عرض نظريته فى الكمال والإطلاع ، وسوف نتابع جذور هذه النظرية لغوياً واصطلاحاً ، مع عرض للجذور التاريخية ابتداء من الفلسفة اليونانية الأرسطية المعروفة وفكرة أرسطو عن بالطباع التام الذى يستقى علمه من مصدر لا يفنى يزوده بالعلم اليقينى على الدوام ، وصولاً إلى مفهوم الإطلاع والمطلع والكشف ، وحياة المطلع والكامل ثم ميلاده ومعراجه وموته وعلاقة هؤلاء الكُمل بالأمر الإلهى القاضى بوجود إنسان قدر الله له أن يصل إلى مرتبة الكمال والإطلاع أو الوصول إلى مقام ما فوق المطلع ومرتبة الأكملية .

ثم سأحاول الكشف عن أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث .

الباحثة

د. نيفين إبراهيم ياسين

أولاً : الفنارى "اسمه ولقبه :

هو محمد بن حمزة الفنارى [١] نسبه إلى مدينة فناره أو قريه فناره التى ظهرت ملحقة باسمه كيفما كُتب ، وقد تتلمذ على مؤلفات صدر الدين القونوى المتوفى (٦٧٣هـ) [*] [٢] ، وتوفى الفنارى سنة (٨٣٤هـ) .

وقد أطلقت العديد من الألقاب على الفنارى ، فهو يلقب شمس الدين ، والفنرى الرومى .

وتذكر المصادر أن الفنارى كان قد ولىّ قضاء " بروسة " وعلا قدره عند السلطان بايزيد خان بن مراد ، وقد قدر له أن يزور مصر ويجتمع بعلمائها عامىّ ٨٢٢هـ ، ٨٣٣هـ [٣] .

ونظراً لأن الفنارى كان قد علا قدره ، وارتفعت هامته فى الدين فقد ذكرته كتب المصادر بأنه من علماء الأصول ، ووصف أيضاً بأنه عالم محقق وبحر مدقق

---

(2) Hellmut Ritter Autographs in Turkish Libraries; Oriens Journal of International Society; Oriental Research; E. J. 1953, Vo., 6, p.p. 70 - 75

(٣) (*) صدر الدين القونوى : هو محمد بن إسحاق بن يوسف ، صدر الدين القونوى المتوفى (٦٧٣هـ) ربيب الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى المتوفى فى (٦٣٨هـ) وكان ابن عربى صديقاً لوالده الشيخ مجد الدين القنونى الذى وجه دعوة إلى الشيخ الأكبر لزيارته فى قونيه التركية الآسيوية ، وقد لبى ابن عربى الدعوة ، إلا أنه عند وصوله إلى قونيه كان الشيخ مجد الدين القونوى قد رحل عن الحياة ولقى وجه ربه تاركاً ابنه " محمد " طفلاً لم يتجاوز عمره ست سنوات . وهناك فى قونيه تزوج ابن عربى أرملة الشيخ مجد الدين القونوى وقام بتربية ابنه محمد الذى صار فيما بعد الشيخ صدر الدين القونوى الذى قام بأفضل الشروح على مؤلفات ابن عربى .

- راجع إبراهيم إبراهيم ياسين (الدكتور) : صدر الدين القونوى وفلسفته الصوفية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٢ ، ٣٤ .

(٤) خير الدين الزركى : قاموس الأعلام ، دار القلم للملايين ، طبعة بيروت ، ٨٣٣ هـ ، جـ ٦ ، ص ١١٠ .

الأمر الذى كان مؤهلاً له فى تولى قضاء بروسه والقسطنطينية فى عصره كونه من أكابر علماء الدولة العثمانية فى القرن التاسع الهجرى [١] .

والفناري من العقليات الفذه التى أضافت إلى التصوف بعامه والتصوف الفلسفى خاصة . فقد قدم نظريات عميقة وجدد وعمق نظريات من سبقوه من أمثال شيخه صدر الدين القونوى . كما قدم شرحاً نفسياً على كتاب مفتاح الغيب اسماه " مصباح الأنس بين المعقول والمشهود فى شرح مفتاح غيب الجمع والوجود " [٢] .

وقد حفل هذا المؤلف بالعديد من المصطلحات والنظريات الصوفية التى قام بشرحها على المنحى الصوفى المتفلسف ، فهو يحدثنا عن الكلام والكلمة وتجلى الاسم الأعظم ويعتقد أن للكلام عنده رتبة خاصة من حيث أنه ليس بزائد على المتكلم وكل ما ظهر منه هو تعينات الاسم المتكلم أو تجليات الاسم المتكلم كما يعتقد.

ثانياً : الفناوى : منزلته ورحلاته :

---

[٥] شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدسى ، القاهرة ، طبعة مصر ، ١٣٣٥هـ ، المجلد ١١ ، ص ٢١٨ .

[٦] صدر الدين القونوى : مفتاح غيب الجمع والوجود ، نسخة خطية بمكتبة طلعت بدار الكتب المصرية برقم ١٢٧٣م تصوف ، وقد جرت محاولة لتحقيق هذا المنصف مع مصباح الأنس للفناري ، فى كتاب بتحقيق : مرزا هاشم الأشكورى وآيه الله الخمينى ، وسيد القمنى ، من مخطوطات الكتب خانة المصرية ، بدون تاريخ .

إن ما جاء ذكره فى المصادر من أن الفنارى كان قد ولد فى صفر سمنة إحدى وخمسين وسبعمائه للهجرة بين أنه كان معاصراً لأربعة من سلاطين بنى عثمان .

وقد شد الفنارى الرحال إلى الأراضى المقدسة لأداء فريضة الحج سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ، ثم عاد إلى بلده وبعد عام واحد من عودته لقى وجه ربه سنة أربع وثلاثين وثمانمائه وهى السنة التالية لأدائه فريضة الحج [١] .

وخلف ولدين هما : " محمد شاه " صاحب " الحاشية على فصول البدائع " [٢] .و" يوسف بالى " الذى تذكره المصادر بأنه من الفضلاء ولا يذكر عنه غير ذلك .

ويذكر محقق " فصول البدائع للفنارى أن الشيخ كان صاحب جاه واسع ، وكانت له أبهة وشوكة وقد استنتج هذا من أن الشيخ كان إذا ذهب لصلاة الجمعة اجتمع الناس على باب الجامع وتزاحمو عليه وبرغم أنه كان لديه من العبيد إثنا عشر يلبسون الثياب الفاخرة ، إلا أنه كان يكتفى بالرقيق من الثياب ويعلل ذلك بقوله " إن ثيابى وطعامى من كسب يدى ، ولا يفى كسبى بأحسن من ذلك " [٣] ، وكان يعمل بصنعة القزازية ولم يتخذ تصوفه وسيلة للامتناع عن العمل . كما كان صاحب فصل كبير فى نشر العلم والتعليم ، وصناعة الفتوى والقاء الدروس ، مما جعله ذو منزلة

---

(٧) إبراهيم بك حليم : تاريخ الدولة العثمانية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، مصر ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣٩ ، وخير الدين الزركلىّ : فى قاموس الأعلام ، المجلد ٦ ، ص ٣٤٢ .

(٨) ياسر بن محمد بن صالح : تحقيق كتاب فصول البدائع لشمس الدين الفنارى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، فى جامعة أم القرى ، ص ١٥ .

(٩) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربى ، بدون تاريخ ، جـ ٢ ، ص ١٧٢٥.

عظيمة عند سلاطين آل عثمان ، فصار مفتى السلطنة فى أيام بايزيد خان . وكان فى مقام الوزير عنده .

أكثر الكافيجى من الثناء عليه ، وشهد له علماء مصر لما دخلها بالفضل والعلم وتفرس فيه العلماء النبوغ والعلم وحضروا الدروس التى كان يلقيها " أكمل الدين البابرتى " وبرفقته حاجى خليفة صاحب كتاب " الشفاء فى الطب " . وفى أحد الأيام قال واحد من المشايخ للفنارى ، إنك ستجمع بين رياسة الدنيا والعلم والفتوى .. ، وقال لى حاجى خليفة أنك ستضيع عمرك فى الطب . فكان كما قال[١] .

ومما يشير إلى علو مكانة الفنارى أن السلطان العثمانى شهد عنده فى أحد القضايا لكنه رد شهادته فلما سأله السلطان عن سبب رد شهادته قال له :" إنك تارك للجماعة ، فما كان من السلطان إلا أن فهم ما يقصد إليه الشيخ ... فبنى لنفسه مسجداً أمام قصره ... ولم يترك الجماعة بعد ذلك " [٢] .

وقيل أن الفنارى عندما اختلف مع السلطان وذهب مغاضباً إلى قرامان ، عين له صاحب قرامان كل يوم ألف درهم فى إشارة إلى منزلته العلمية العالية التى دفعت السلطان إلى الندم على ما بدر منه تجاه الفنارى فأرسل إلى صاحب قرامان يستدعيه فاستجاب له وعاد إلى ما كان عليه من منزله ومناصب [٣] .

---

[١٠] طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، مصدر سابق ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

- راجع أيضاً : ياسر هوساوى ، تحقيق : فصول البدائع ، ص ٣١ .

[١١] الشوكانى : البدء الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، المجلد الثانى ، مطبعة السعادة ، طبعة أولى ، مصر ، ١٣٤٨هـ ، ص ٢٦٨ .

[١٢] المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .

- راجع محمد حرب : العثمانيون فى الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ ، ص ص ١٨ ، ٢٢ .

ثالثاً : أساتذه الفنارى وشيوخ عصره :

الفنارى شأنه شأن عظيم الأعلام من الصوفية بدأ فى طلب العلم مبكراً فتعلم على مشايخ " فناره " فى صغره ، ثم بدأ فى الارتحال من أجل تحصيله وعمره لم يتجاوز عشرون عاماً ، وممن تعلم على يديهم ، العلامة " علاء الدين الأسود " [١] . شارح المعنى فى الأصول ، والوقاية فى الفقه ، كذلك أخذ العلم عن الجمال محمد بن محمد الأقصرائى [٢] . ولما رحل إلى مصر تسنى له تحصيل العلم على يد الشيخ أكمل الدين البابرتى [٣] .

تأثر الفنارى فى كتاباته الصوفية بالشيخ صدر الدين محمد بن إسحق القونوى الذى شرح له منصفه الشهير مفتاح غيب الجمع والوجود فى " مصباح الأنس بين المعقول والمشهود " [٤] . ويقال أنه أخذ التصوف عن حميد شيخ الحاج بيرام [١] .

---

[١٣] علاء الدين الأسود : هو على بن عمر ، فقيه حنفى من علماء الروم له شرح كتاب المغنى فى الأصول ، وكتاب الوقاية فى الفقه . راجع الزركلى : قاموس الأعلام ، المجلد الرابع ، ص ٣١٦ ، مادة علاء الدين الأسود .

[١٤] الجمال محمد بن الأقصرائى : عالم بالتفسير والطب واللغة والأدب ، وهو حفيد فخر الدين الرازى ، كتب بعض الحواش على تفسير الكشاف ، توفى سنة (سبعين وسبعمائة) . راجع : الأعلام ، مصدر سابق ، المجلد السابع ، ص ٢٧٠ .

[١٥] البابرتى : هو محمد بن محمد بن محمود البابرتى ، الملقب بأكمل الدين ، فقيه حنفى ، أصولى ، ونحوى ، ومفسر ولدسنة (٧١٤هـ) بضاحية يابرتا فى بغداد ، له فصول البدائع فى أصول الشرائع لمحمد بن حمزة الفنارى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، ص ١٢ .

[١٦] إبراهيم ياسين (الدكتور) : صدر الدين القونوى وفلسفته الصوفية ، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية ، ٢٠٠٣م ، ص ٦٩ .

رابعاً : تلاميذ الفنارى وحوارييه :

تتلمذ على يد محمد بن حمزة الفنارى مشاهير علماء الدولة العثمانية فى القرن التاسع الهجرى من أشهرهم كما يذكر الدكتور إبراهيم ياسين فى كتابه صدر الدين القونوى وفلسفته الصوفية محمد بن قطب الدين الأزنيقى . الذى قرأ على الفنارى وتتلمذ عليه وقدم شرح مفتاح الغيب المسمى " فتح مفاتيح الغيب " [٢] . ومن تلاميذ أيضاً العلامة محيى الدين الكافيجى [٣] أبوعبدالله الحنفى ، شيخ جلال الدين السيوطى ومنهم أيضاً ولديه محمد شاة صاحب الحاشية على فصول البدائع ويوسف بالى [٤] . كذلك تتلمذ على يديه علماء أفاضل كُثر شهدوا له بالسبق والتفوق والفضل .

وإلى جانب نظريته فى " الكلمة " والتى أشرنا إليها آنفاً يقدم لنا الفنارى نظريته فى " المطلع " ومقام ما بعد المطلع الذى أختص به الله صفوه عباده من الأنبياء الذين أطلعهم على ما شاء من حقائق صفاته وأسرار احكام وجوده ، وهى إحدى نظريات الكمال أو هى تطور لها . فكما لا يقال أن هناك نهاية المراتب الكمال

---

[١٧] طاش كبرى زاده : الشقائق النعمانية فى مشكلات الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربى ، مصر ، ١٣٩٥هـ ، ص ١٩ .

[١٨] صدر الدين القونوى وفلسفته الصوفية ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

[١٩] الكافيجى هو : محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى المعروف أبوعبدالله الكافيجى المولود سنة (٧٨٨هـ) ولىّ شيخه الشيخونية وكان إماماً فى الكلام ، والمنطق ، والأصول ، والفلسفة . راجع : مفتاح السعادة ، المجلد ٢ ، ص ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

[٢٠] طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٦ .

فلا نهاية عنده لمراتب الأكملية ، ولا نهاية للمعلومات والمقدورات ، فمادام معلوم أو مقدور فالشوق لا يسكن والنقص لا يزول " [١] .

وهو إذ يقدم نظريته العامة فى الكمال والأكملية يتخذ لنفسه منحاً خاصا ويضع ضوابطاً صارمة للوصول إلى مرتبة المطلع ، أو مرتبة ما بعد المطلع التى هى فوق مرتبة الكمال ويجعلها خاصة بالأنبياء ابتداء من آدم ثم شيث الذى هو التجلى الثانى للأب وهو صوره التجلى الخالق والمانح الوجود لكل موجود، ثم نوح وأدريس اللذان يحملان صفه السبوحية والقدوسية ويمثلان التنزيه العقلى والذوقى إلى إبراهيم الذى يمثل المجلى التام للأسماء والصفات الإلهية إلى أعلى المراتب عند النبى – محمد ﷺ – [٢] .

وقد جاءت نظرية الفنارى فى الكمال والمطلع وما بعد المطلع من خلال كتابه المشار إليه آنفا والموسوم " مصباح الأنس بين المعقول والمشهود " [٣] . والذى رصد فيه نشأة الإنسان فى المعادن وجعل خاصيتها الكون والفساد وفى النبات وخاصيته فى الغذاء والنمو ، وفى الحيوان وخاصيته الحس والحركة ، والإنسان وخاصيته فى النطق والفكر واستخراج العلوم والصنايع ، والملائكة وخاصيتها فى الطاعة ، وجعل اللإنسان الخاصية الكلية لجميع الحيوانات والحشرات ، ثم إعطاه خاصية الترقى فى المراتب

---

[٢١] محمد بن حمزة الفنارى : مصباح الأنس بين المعقول والمشهود فى شرح مفتاح غيب الجمع والوجود ، نسخة خطية رقم ١١٨٨ تصوف ، مكتبة طلعت ، بدار الكتب المصرية، المقدمة . راجع : أيضاً : طاش كبرى زاده : الشقائق النعمانية ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، ص ٦٥ .

[٢٢] صدر الدين القونوى : الفكوك ، نسخة خطية رقم ٣٢٣ تصوف ، مكتبة طلعت ، بدار الكتب المصرية ، ص ٥٧ .

[٢٣] الفنارى : مصباح الأنس ، مصدر سابق ، ورقة ٢٧١ .

ليصير من أهل الكشف والولاية ويتعلق بمشرب خاتم الولاية بالوصول إلى كمال الجلاء والاستجلاء أى كمال ظهور الحق وشهوده شهوداً ذوقيا قلبيا " [١] .

سوف تتبين فى الصفحات التالية مفهوم نظرية الإطلاع ، والمطلع ، وما فوق مقام المطلع ، باعتبارها نظرية فى الكمال الروحى ، كما قدمها محمد بن حمزة الفنارى .

خامساً : نظريته فى المطلع والإطلاع :

أ - المطلع لغة :

جاء فى معجم مقاييس اللغة أن الطاء واللام والعين أصل واحد صحيح يدل على ظهور وبروز يقال طلعت الشمس طلوعاً ... ويقال طلع علينا فلان ، والطلاع ما طلعت عليه الشمس من الأرض وفى الحديث " لو أن لى طلاع الأرض ذهباً " .. والمطّلع المأتى ، يقال أين مطلع هذا الأمر ؟ وقوله عليه السلام " لأفتديت به من هول المُطّلع " [٢] .

وهكذا يظهر أن المطلع أو الإطلاع هو المشاهدة والكشف والرؤية والظهور . وقد وردت هذه المعانى فى القرآن الكريم فى قوله جل شأنه ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ [٣] . و ﴿ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ [٤] . ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل

---

[٢٤] الفنارى : مصباح الأنس ، مصدر سابق ، ورقة ٢٧١ .

[٢٥] معجم مقاييس اللغة : مادة مُطّلع . راجع : سعاد الحكيم (الدكتور) : المعجم الصوفى ، الحكمة فى حدود الكلمة ، طبعة دندره ، بيروت ، ١٩٨١م ، مادة مُطّلع ، ص ٧٣٦ .

[٢٦] سورة الكهف : الآية (١٧) .

[٢٧] سورة طه : الآية (١٣٠) . واللفظ فى سورة (ق) الآية (٣٩) .

لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ﴾ [١] . وإلى جانب الظهور والجلاء ياتى الأصل بصيغة طلع واطلع ، ويفيد رؤية أو علم ما يمت إلى الغيب فى العموم لقوله جل شأنه ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ﴾ [٢] . ﴿ أَاطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً ﴾ [٣] .

ب – المُطلع إصطلاحات :

إصطلح الصوفية على استخدام " المُطلع " بعده معانى منها الإطلاع والفهم ، ومنها المكاشفة والشهود والرؤية بعين القلب والبصيرة . كما أنه يجىء رؤية وجه الحق فى الأشياء ، وهى وقوف على أسرار الملكوت والجبروت .

لذلك يوقفنا القاشانى على أهم المعانى فيذكر أن المُطّلع هو " مقام شهود الحق فى كل شىء متجلياً بصفاته التى ذلك الشىء مظهر لها ، وهو مقام الإشراف على الأطراف " [٤] .

والمُطّلع أيضاً هو مقام شهود المتكلم عند تلاوة آيات كلامه متجلياً بالصفة التى هى مصدر تلك الآية أو كما قال جعفر الصادق ... لقد تجلى الله لعباده فى كلامه ولكن لاَّ يُبْصِرُونَ . الأمر الذى يفسره السهرودى بقوله هو مقام شهود الحق

---

[٢٨] سورة الكهف : الآية (٩٠) .

[٢٩] سورة آل عمران : الآية (١٧٩) .

[٣٠] سورة مريم : الآية (٧٨) .

[٣١] كمال عبدالرازق القاشانى : إصطلاحات الصوفية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٨٦ .

– والمقصود بالأطراف (الأولين والآخرية ، والظاهرية والباطنية) لقوله جل شانه : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ (الحديد: ٣) .

فى كل شىء متجلياً بصفاته التى ذلك الشىء مظهرها – تماشياً مع الحديث النبوى – ما من آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ، ولكل حد مطلع " [١] .

ويتبنى ابن عربى هذا المفهوم المستخلص من الحديث الشريف ويعممه على الموجودات والأكوان ، فكل شىء عنده له ظهر ، وبطن ومطلع .

ومطلع الشىء عنده هو وجه الحق فيه ، فهنا يتحول الشىء من حجاب ورمز يعوق مرأى الحق إلى طريق موصل إليه وننتقل من الكثرة الاعتبارية الظاهر بها فى الموجودات إلى وحدة الحق ، حيث يطلق ابن عربى على المشاهدين لها اصطلاحاً : " أهل المطلع وأصحاب مشاهدة الوجه أو الملامية"[٢].

والإطلاع هو معانية شهودية يحظى فيها السالك برؤية خفايا الملك والملكوت يقول ابن عجيبة " المطالعة مطالعة أسرار الملك والملكوت والجبروت وأسرار القدر " [٣] .

ويؤكد الشيخ أحمد زروق أن المطالعة " هى موافقة التوحيد فى كل ورد وصدر ، والرجوع إلى الحقيقة المرة بعد المرة بلا بأمل ولا نظر فلا يبدو شىء إلا طولع به سره ، لكمال سره " [١] .

---

[٣٢] سعاد الحكيم : المعجم الصوفى ، الحكمة فى حدود الكلمة ، مادة مطلع ، ص ٧٣٧ .

[٣٣] كمال عبدالرازق القاشانى : إصطلاحات الصوفية ، مرجع سابق ، ص ٨٦ .

[٣٤] أحمد بن عديبة : أيقاظ الهمم فى شرح الحكم ، جـ ، ص ٣٧٩ .

- وابن عجيبة : هو أبوالعباس أحمد بن محمد بن المهدى بن الحسين بن محمد بن عجيبة الأدريسى الحسنى ولد فى مدن تطوان المغربية (مدشرا عجبيش) سنة ١١٦١هـ ، الموافق ١٧٥٨م ولابن عجيبة مؤلفات عديدة منها إيقاظ الهمم فى شرح الحكم ، وهو = = شرح حكيم بن عطاء الله السكندرى .. وله البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد .. توفى فى ٧ شوال ١٢٢٤هـ الموافق ١٨٠٨م بالطاعون فى بيت شيخه محمد البوزيدى بقرية غمارة شرق مدينة تطوان .

ويفرق أبوالحسن الشاذلى بين مطالعة الأنبياء ومطالعة الأولياء ، فالأنبياء يطالعون حقائق الأشياء بينما يطالع الأولياء المثل والشبيه يقول " الأولياء يطالعون المثل ، والأنبياء يطالعون حقائق المرئيات " [٢] .

ويفرق أبوالمواهب الشاذلى بين أهل البدايات وأهل الحقائق حسب الاستعداد والإمداد يقول " الإطلاع لأهل الإمداد بحسب الاستعداد فمن كان مقامه أجلى كان كشفه أحلى ومن القوم من يطلع على البداية دون النهاية ، ومنهم من يطلعه الحق على المقر والمستودع وهذا غاية ما يكون من الإطلاع على المطلع " [٣] .

وأما المطالع فهى المجالى والمظاهر والمنصبات التى هى مفاتيح الغيوب، والمراتب التى تبدأ بمرتبة غيب الغيب ، ومرتبة الغيب المطلق ومرتبة الأرواح ، والمثال ن والحس والمرتبة الجامعة ، والمطالع الكلية هى المجالى الكلية والمنصات التى هى مظاهر مفاتيح الغيوب التى انفتحت بها مغاليق الأبواب المسدودة بين ظاهر الوجود وباطنه وهى خمسة مجالى كما يقول القاشانى مجلى الذات الأحدية وعين الجمع ومقام أو أدنى .. وتجلى حقيقة الحقيقة وهو غاية الغايات ونهاية النهايات . وأما المجلى الثانى فهو مجلى البرزخية ، ومجمع البحرين ، ومقام قاب قوسين وحضره جمعية الأسماء الإلهية ، والنجلى الثالث مجلى عالم الجبروت وانكشاف الأرواح القدسية ، والمجلى الرابع مجلى عالم الملكوت والمدبرات السماوية والقائمين

---

[٣٥] أحمد زروق : شرح الحكم العكائية ، ص ٣٩٦ .

[٣٦] عبدالرحمن بن محمد الفاسى : شرح حزب البر ، ص ١٦٥ .

[٣٧] أبوالمواهب الشاذلى : قوانين حكم الأشرار ، ص ١٠٨ .

بالأمر الإلهى فى عالم الربوبية ، واما المجلى الخامس فمجلى عالم الملك بالكشف الصورى وعجائب عالم المثال والمدبرات الكونية فى العالم السفلى " [١] .

وهكذا يفرق الصوفية بين المطلع والمطالع اى بين المُشاهِد والمُشاهَد أو بين الكشف والمكاشف فيقول القاشانى " أعلم أن هذا المقام المسمى بالمطلع تختلف الترجمة عنه فتسميته بلسان مقام البنوة المطلع ، وبلسان القرآن ، الأعراف الذى أخبر الحق سبحانه وتعالى أن رجاله ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ وهذا منا خصية الأستشراف على الأطراف " [٢] . وإن اختلف المفسرون فى تعريفهم لرجال الأعراف .

ويؤكد ابن عربى هذه المعانى فى الفتوحات المكية فيؤكد أن وجه الحق فى كل شىء هو المطلع فيقول : فأطلع فما وقعت عينه على الأشياء وإنما وقعت عينه على وجه الحق فيها الذى ارتبطت فى وجودها به " [٣] .

والمطلع للنظر على عالم الكون ، والناظر حجاب العزة هو العماء والحيرة " [٤] .

" وأهل المطلع " [٥] . الناظرين إلى الكون بعين الحق . وهكذا يشير مصطلح المُطّلع إلى عدة معانى على النحو التالى :

---

[٣٨] كمال الدين القاشانى : لطائف الإعلام فى إشارات أهل الإلهام ، ص ٥٣٧ – ٥٣٩ . راجع أيضا : القاشانى : إصطلاحات الصوفية ، ص ٧٧ .

[٣٩] رجع : سعاد الحكيم : فى المعجم الصوفى ، ص ٧٣٧ .

[٤٠] ابن عربى : الفوحات المكية ، الهيئة العامة لكتاب ، نشره : د. عثمان يحيى ، ود. إبراهيم مدكور : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ، جـ ٢ ، ص ١٧٧ .

[٤١] اقاشانى : اصطلاحات الصوفية ، ص ٢٩٧ .

[٤٢] ابن عربى : الفتوحات المكية ، مصدر ساق ، جـ ٢ ، ص ١٢٩ .

أولاً : التجلى الإلهى فى آيات القرآن الكريم فى صفه الآية التى يقرأها المُطّلع.

ثانياً : المُطّلع مصطلح يشير أيضاً إلى مقام شهود الحق فى كل شىء ليُرى وجه الحق فيه .

ثالثاً : الإطلاع يعنى مشاهدة حقيقة الوحدة فى عين الكثرة ، بمعنى مشاهدة وحدة الحق وأحديته من خلال الكثرة المشاهدة فى الكون .

رابعاً : والمُطّلع هو ما تمكن من استجلاء حقائق الغيب وعرف حقيقة المراتب الغيبية ، وشاهد المطالع والمنصات والمجالى .

جـ - "المُطّلع" الجذور التاريخية :

من الأمور اللافتة لنظر أى باحث أن تبدأ فكرة المطلع أو الحكيم النورانى الكاشف انطلاقاً من الفلسفة اليونانية خصوصاً ما جاء منسوباً " لأرسطو ".

فقد ذكر الدكتور عبدالرحمن بدوى أن أرسطو قد وضع الأسس النظرية لقضية الطباع والتام الذى هو ملتمس الحكم واصله وفرعه .. وبه تستدرك الحكمة التى هو أصلها ومفتاحها .

فما هو الطباع التام ؟ إنه روحانية الفيلسوف التى هى متصلة بنجمه ومدبره فتفتح مغاليق الحكمة ، وتعلمه ما استشكل عليه ولتوحى إليه بصوابها

وتلهمه مفاتيح الأبواب المغلقة – سواء كان ذلك فى النوم أو فى اليقظة [١] .

ولعل ما يجعل هذه النظرية قريبة من نظرية المطلع التى نحن بصددها أن هذا الطباع التام يستقى علمه من مصدر لا يفنى وهذا المصدر يزوده بعلم يقينى باق

---

[٤٣] عبدالرحمن بدوى (الدكتور) : الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ، دار القلم ، بيروت، ١٩٨٢م ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

على الدوام لا نجد له نظير إلا عند المطلع الذى أوتى هبه الكشف النورانى الذى يزوده بعلم يقينى روحانى ، يبرهن على وجود علاقة مقدسة ورابطة دائمة بين العابد المسافر إلى الله والمعبود الذى يزود أوليائه بالنور الكاشف لظلام الجهل والمحمل بالعلوم الإلهية . يقول جل شأنه ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴾[١] .

يؤكد هذا التشابه أن الطباع التام – روحانى ملازم للصورة الإنسانية ، وهو حكيم يؤيد الإنسان ويلهمه الصواب ، وهو يتلقى العلوم والحكمة من مصدر أعلى منه أو من قوة عالية رفيعة هى قوة الملك المتصل ينجم ملكه " [٢] .

فنحن إذن بصدد قوة روحانية تؤيد الحكماء وتلهمهم وتتح لهم مغاليق أبواب الحكمة وهى تتلقى هذا التأييد من ملك عادل رفيع يتصل بنجم ملكه العاى فى مكانة . وتبدو قوة التأييد نوراً نقياً وهاجاً ينير ظلام الأركان حالكه السواد ، ويستخرج علوم سرائر الخالق عميقة الخفاء . يقول النص على لسان هرمس " لما أردت استخراج علم العلل الحقيقية وكيفيتها وقعت فى سرب مملوء ظلمه ورياحاً، فلم أبصر فيه شيئاً لظلمته ، ولم يضىء لى فيه سراج لكثرة رياحه ، فأتانى فى منامى بأحسن صورة فقال لى ، خذ نوراً فضعه فى زجاجة نقية من الأرياح تنير لك الطريق ، وأدخل إلى السرب وأحفر وسطه واستخرج منه تمثالاً بالطلسم ، فإنك إذا استخرجت ذلك التمثال ذهب رياح السرب وأضاء لك ، ثم أحتفر فى أربعة أركان واستخرج علم سرائر الخليقة "

---

[٤٤] سورة الأنعام : الآية (١٢٢) .

[٤٥] عبدالرحمن بدوى (الدكتور) : الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

وعلل الطبيعة ، وبدو الأشياء وكيفيتها ، قلت له من أنت ؟ قال طباعك التام .. " [١] .

وهكذا يبدو " الطباع التام "[٢] فى هذا الفكر اليونانى بمنزله المعلم الناصح الذى يعلم الصبى الكلمة بعد الكلمة ، فكلما أحكم بابا من العلم أدخله فى باب آخر ولن يخاف ذلك الصبى النقص فى علمه مادام ذلك العلم باقيا – لأنه يكشف له عما أشبه ويعلمه ما أشكل ، ويبدؤه من العلم بما لا يزل عنه – فهكذا الطباع التام للفيلسوف الذى هو بمثابة الصبى المحتاج إلى معلم يعلمه ومرشد يرشده ، كما أنه محتاج إلى سراج ينير له ظلام الجهل ومنبع يفيض على قلبه بالعلم ويزوده بالنور.

ونكشف هذه النصوص عن وجود قوة علوية تنير ظلام النفوس وتضىء سروج كثيرة ، وتكشف ستر الظلام الحلاك ، وتظهر عن سرائر الخليقة ، وعلومهم وعلمهم بما يريدون أن يعلموه ، وهذه القوة العلوية المشار إليها تستبعد أى وساطة حتى لو كانت للأنبياء . لأن دور هذه القوة الروحانية هو نفس الدور الذى يقوم به جبرائيل ومن إليه من الملائكة مع الأنبياء على حد تعبير الدكتور عبدالرحمن بدوى الذى يخلص إلى أن الطباع التام بهذا المعنى ما هو إلا رمز تجسيدى لقوة الإنسان المبدعة فى أعلى درجات إمكانها " [٣] .

---

[٤٦] عبدالرحمن بدوى (الدكتور) : الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

[٤٧] المرجع السابق ، ص ٣٦ .

[٤٨] عبدالرحمن بدوى (الدكتور) : الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ، مرجع سابق ، ص: ص ٣٨ ، ٣٩ .

تلتقى القوة الروحانية للحكيم بالقوة العلوية الإلهامية ، أو عندما يتقاطع النظام الإلهى مع النظام الطبيعى أو يفيض عليه من علوم النور والحكمة ومباشرة ودون وساطة من ملك أو نبى .

وإذا كان الأمر كذلك فإن النظرية اليونانية تكون قد تفرقت على نظرية الإنسان الفاضل والإنسان المطلق عند " إخوان الصفا " الذين لا يمكنهم التخلى عن فكرة الوساطة بين الله والإنسان حتى يتمكن من إيصال الوحىّ إلى الأرض، فهم – أقصد إخوان الصفا " يقررون أنه لله فى كل زمان ومكان شخصاً فاضلاً ، وأن السالف يقوم مقامه من يخلفه ، وأن الأرض لا تخلو من إمام حر ، وأنه حجه الله على خلقه لا تنقطع ، وأن فيض روحه وكلمته لا يتوقف، بل يذهبون إلى ما هو أكثر جرأة فيقولون – أن الفاضل هو وجه الله فى العالم السفلى كما أن العقل الكلى هو وجه الله فى العالم العلوى " [١] .

ولا تنقطع مسيرة الإنسان الفاضل كما لا يزول وجوده لتكراره فى الزمان وفى النفس الجزئية التى تظهر فيها صورة الإنسانية الكلية – فهو إمام حىّ قائم فى كل عصر وزمان ومستمر فى أشخاص الأئمة أو الأقطاب إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها – يقول إخوان الصفا – وأن السالف يقوم مقامه من يخلفه ويحفظ صورته ويرث منزلته ويستحق مرتبته لئلا تنقطع آثاره وتنسى أخباره ويعدمه موضعه اللائق به ومكانه المعروف به [٢] .

---

[٤٩] د. جبور عبداللطيف : إخوان الصفا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٠م ، ص ٥ ، ٧ .

[٥٠] رسائل إخوان الصفا : طبعة القاهرة ١٩٢٨م ، الرسالة الجامعة ، الجزء الأول ، ص ٢٩. وكذلك : ص ٦٣٥ ، ٦٣٨ .

ومهما كان من مفاسد فى هذه النظرية التى تتحدث عن إنسان لا زمانى مطلق فإنهم يقدمون لنا نموذج من الوسطاء الروحانيين أو حمله الوحىّ الذين يظهرون فى سلسلة الصور اللازمانية واللامكانية ، أو الصور التى تمثل واسطة بين العالمين العلوى والسفلى ، وهو الصور الناقلة للعلم والوحىّ والحامله للنور الكاشف لظلام الجهل ، وهى أشبه بفكرة الطباع التام أو قريبة منها .

ومما لاشك فيه أن فكر أخوان الصفا يكشف عن نظريتهم فى " الإنسان المطلق " الذى يكشف بدوره عن إنسان كونى روحانى أشبه بالنفس السارية فى الكون ، ولاشك أن جل كتابات هذه الجماعة تحدد إنساناً يصلح أن يكون صورة إنسانية أو إنسان مستخلف ، أو خليفة ، " فهو الذى يقوم فى العالم بأمر الله ، وأن يكون وجهه ولسانه وترجماته – قائماً عن خليفة الزمان – فهو رأس العالم وأفضل الناطقين فيه والمخبر بالحكمة ، وهو قد يكون نبياً أو صاحب شريعته وأصحاب دعونه .. ثم تكون الأمة كلها جسماً واحداً والنبى رأسه وخليفته فيهم قلبه.." [١] .

وهذا الإنسان فى نظر " الفارابى " يجمع بين عالم الخلق وعالم الأمر معتمداً على أن فيه من الروح التى هى النفخة القدسية فيه يقول " .. جمع بين عالم الخلق وعالم الأمر ... لأن روحك من خلق ربك فالروح القدسية كما يصفها الفارابى لا تشغلها جهة فوق عن جهة تحت ولا يسترق حسها الظاهر حسها الباطن وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه ويقبل المعقولات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس " [٢] . فكأننا بصدد قوة روحية متسامية تتوافق حواسها الظاهرة مع

---

[٥١] أخوان الصفا : الرسائل ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٣٩٠ .

[٥٢] الفارابى : شرح نصوص الحكم المعروف بنصوص الكلم ، لمحمد بدر الدين الحلبى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ ، ص ١٥٦ .

حواسها الباطنة لتكون قادرة على الوصول إلى العالم العلوى الذى هو عالم الأمر ليحصل على العلم والحكمة ويستقبل النور الإلهى الكاشف لعلوم الغيب .

سادساً : الإطلاع والكشف :

سبق وقدمنا أن عربى يرى المطلع على اعتبار أنه وجه الحق فى الأشياء، والمطلعون هم أصحاب مشاهدة الحق ، كما يشير ابن عربى إلى المُطّلع على انه القطب الذى أختصه الله بمعرفة أسرار آيات القرآن ، والإطلاع على صورة التجلى الإلهى فى كل آية ، والمطلع عنده هو واحد من الرجال الأربعة الذين اختصوا بالفهم والإطلاع فمنهم من له الظاهر ومنهم من له الباطن ومنهم من له الحد وأعلاهم وأشملهم فهماً وعلماً هو المُطلع الذى له باب الفهم والقدرة عليه بعد أن توقفت النبوة ، لذلك يطلق ابن عرابى على هذا المطلع إصطلاح القطب الذى يدور عليه فلك الكشف . فربط بين الإطلاع والكشف وشهود الحق فى الخلق .

يقول : " أعلم أن رجال الله أربع مراتب : رجال لهم الظاهر ، ورجال لهم الباطن ، ورجال لهم الحد ، ورجال لهم المُطلع ، فإن الله سبحانه لما أغلق دون الخلق باب النبوة والرسالة أبقى لهم باب الفهم عن الله فيما أوحى به إلى نبيه – صلى الله عليه وسلم – فى كتابه العزيز ، فكان ابن أبى طالب – رضى الله عنه – يقول : " أن الوحىّ قد أنقطع بعد رسول الله – ﷺ – " وما بقى بأيدينا إلا أن يرزق الله عبداً فهما فى هذا القرآن ، وقد أجمع أصحابنا ، أهل الكشف على صحة خبر عن النبى – ﷺ – أنه قال فى آى القرآن : إنه ما من آية إلا ولها ظاهر وباطن وحد ومطلع " ولكل مرتبة من هذه المراتب رجال ، ولكل طائفة من هذه الطوائف قطب ، على ذلك

– راجع : د. منصور الشطى : تأنيس الإنسان ، مراجعة : الدكتور إبراهيم إبراهيم ياسين ، دار بلال للطباعة ، المنصورة ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٦ .

القطب يدور فلك الكشف " [١] . بمعنى أن خصوصية فهم آيات القرآن الكريم على النحو الصحيح ظاهراً وباطناً إنما هى خاصية أهل الكشف والإطلاع .

ويذهب ابن عربى إلى القول بأن لكل أمر حد ومطلع يجمعهما ظهر وبطن ، وأن ما يظهر من الأشياء ينطوى على باطن خفى . وهو يضرب لذلك مثلاً فى الواحد العددى والإعداد وهى التى تمثل رمزاً للصلة بين الله الواحد والعالم المتعدد المتكثر الذى لا يظهر إلا فى الواحد ولا صلة له بحقيقة التكثر الذى يجتمع فى الواحد العددى وما له فى العدد متسع ، فالظاهر هو التكثر العددى والباطن هو الواحد ، ومهما تكثرت مراتبه فهو يبقى منزهاً ممتنعاً على التكثر والتعدد .

بقول الشيخ الأكبر شعراً [٢] .

إن الامـــور لهـــا حـــد ومُطّلـــع ... مـن بعـد ظهـر وبطـن فيـه تجتمـع
فـى الواحـد العـين سـر لـيس يعلمـه ... إلا مراتـــب أعـــداد بـــه يقـــع
هـو الـذى أبـرز الأعـداد أجمعهـا ... وهـو الـذى مـا لـه فـى العـد متسـع
مجالـــه ضـــيق رحـــب فصـــورته ... كنـــاظر فـــى مـــرآة حـــين ينطبـــع

---

[٥٣] ابن عربى : الفتوحات المكية ، جـ ٣ ، ١٨٧ .

– والنص نجده فى مسند ابن حنبل ٧٩/١ ، وفى صحيح البخارى علم ٣٩ ، وفى سنن النسائى قسامه ١٣ .

[٥٤] المصدر السابق : جـ ٣ ، ص ١٨٠ .

فمـــا تكثـــر إذا أعطـــت مراتبـــه تكثـــرا فهـــو بالتنزيـــه يمتنـــع
كـــذلك الحـــق إذا حققـــت ســـورته بنفســـه وبكـــم تعلـــو وتتضـــع

وأما محمد بن حمزة الفناري فيؤكد على ما قاله النبى – ﷺ – من أن للقرآن ظهراً وبطناً واحداً ومطلعاً ، ويذكر رواية تقول أن البطن بطناً إلى سبعة أبطن ، وفى رواية أخرى إلى سبعين بطناً ويستند فى هذا إلى ما جاء عند صدر الدين القونوى فى " إعجاز البيان فى تفسير أم القرآن " وفى " الفكوك " حيث يذكر " أن المظهر هو المجلى والنص المنتهى إلى أقصى مراتب البيان ، والظهر نظر الصورة المحسوسة ، والبطن الخفى نظر الأرواح القدسية المحجوبة عن أكثر المدارك ، والحد هو المميز بين الظاهر والباطن وبه يرتقى من الظاهر إليه وهو البرزخ الجامع بينهما بذاته والفاصل بين الباطن والمطلع ، ونظيره عالم المثال الجامع بين الغيب المحقق والشهادة ، ما يفيد الاستشراف على الحقيقة التى إليها يستند ما ظهر وما بطن وما جمعها وميز بينهما " [١] .

ويحاول محمد بن حمزة الفناري الوقوف على قوة نفس المُطّلع فى ضبط الأمور الدينوية ، فيأخذ برأى سعيد الدين الفرغانى الذى يرى أن للنفس كلياتها التى تظهر فى قوله جل شأنه ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ [٢] . بطنا أولاً ولسانه ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً

---

[٥٥] الفناري : مصباح الأنس ، ق ٣ .

– راجع صدر الدين القونوى ، إعجاز البيان فى تفسير أم القرآن ، طبعة حيدر آباد الدكن ، ص ٢٤٣ .

– راجع أيضاً : محمد بن قطب الدين الخوبى ، زبدة التحقيق ونزهة التوفيق ، نسخة خطية رقم ١٠٤٧ ، تصوف ، مكتبة طلعت ، الورقة رقم ١١٨ .

[٥٦] سورة آل عمران : الآية (١٤) .

مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [١] ، وطلب صاحبه ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾ [٢] ، ومن حيث غبروها إلى طلب الأمور الأخروية من جهة قوتها العاقلة المنورة بنور الشرع بطناً ثانياً وطلب لسانه ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾[٣] ، وهو لعوام أهل الإسلام والإيمان وأول مراتب الإحسان " [٤] .

والفنارى إذ يجعل من القوى النفسية الظاهرة وسيلة الكمال الأخروى الذى هو ثمرة من ثمار النشأة الدنيوية ، تصديقاً لقوله جل شأنه ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ [٥] ، وقول النبى – ﷺ – " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث " . وهو يتفق مع صدر الدين القُونوى فى تفسيره لمرتبة الإحسان والتى أورد فيها جواب " حارثة " على النبى – ﷺ – وهو يسأله كيف أصبحت ، قال : أصبحت مؤمناً حقاً ، فقال : إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك . قال : عزفت نفسى عن الدنيا فتساوى عندى ذهبها ومجرها ، ثم قال : وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً .. إلى قوله – ﷺ – عرفت فالزم – فهذا مرتبة أن تعبد الله كأنك تراه " [٦] .

ولسان هذه المرتبة أولاً : وكيف أعبد ربا لم أره ؟ ثانياً : وجعلت قرة عينى فى الصلاة ، ثالثاً : كنت سمعه وبصره وهو أول مراتب الولاية ، وآخر مراتب الإحسان ، ومن حيث بطونه الاستقرارى فى قلب الإنسان القابل لتجليه – وهو البطن الخامس

---

[٥٧] سورة الروم : الآية (٧) .

[٥٨] سورة البقرة : الآية (٢٠٠) .

[٥٩] سورة البقرة : الآية (٢٠١) .

[٦٠] الفنارى : المصدر السابق ، ق ٣ .

[٦١] سورة النجم : الآية (٣٩) .

[٦٢] الفنارى : المصدر السابق ، ق ٥ .

ولسانه وسعنى قلب عبدى المؤمن . وهو وسط الولاية من حيث جمعه الرحمانى بين الظهور والبطون فى دائرة صفات الألوهية .. وهو البطن السادس لأهل النهايات وهم الكمل " [١] .

وحال " حارثة " كما هو واضح فى الحديث الإطلاع والكشف ورؤية القلب المنور بنور الإيمان ، وهو حال العبد العابد آناء الليل وأطراف النهار ، فإن الله لما خلق الخلق لعبادته أراد لهم أن يعبدوه بحوله وقوته فشرع لهم أن يقولوا بعد إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، قولهم وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وهو عين الارتباط بين العبد والرب . فالعبد يدعو والرب يستجيب له ، لذلك كان طلب العابد معونة الرب على العبادة إيماناً منه بقدرة الرب سبحانه . يقول صد الدين القُونوى فى إعجاز البيان " لولا مناسبة ذاتية غيبية أزلية يشهدها الكُمل المقربون ما صح ارتباط بين الرب والمربوب ، ولا أمكن إيجاد فالإيجاد خدمة عبادة بصورة إحسان ، والعبادة إيجاد لصور أعيان وأعمال ، ولتسوية إنشاء وإحياء لنشآت العبادات ليرجع إلى المنشىء مما ظهروا .. وكمال لم يكن ظاهراً من قبل .. لظهور آثار الأسماء والمرائى المتعينة فى المرآة الجامعة التى هى مجلى من امتاز من غيب الذات والتى ظهر فيها كوامن التعددات الحالية المستجنة فى غيب ذات " . ثم يقول : فى قوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ حكمة باطنة لأن له سبحانه فى كل شىء ولاسيما فى شرائعه وأوامره وأخباراته حكماً ظاهرة وباطنة يشهدها ويتحقق بمعرفتها الكُمل والمتمكنون من أهل الكشف والوجود ويشعر أهل العلوم الرسمية من ظاهر تلك الحكم بالأقل من القليل منها"[٢].

---

[٦٣] الفناري : المصدر السابق ، ق ٥ .

- راجع : صدر الدين القُونوى : الفكوك ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، مجموعة خطية رقم ٣٤٣ ، ورقة ٨٢٠٨٠ .

[٦٤] صدر الدين القُونوى : إعجاز البيان ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

فالرب يعين العبد العابد على العبادة فإن أتقنها أقام له الله تلك المناسبة التى تجمع بين العبد والرب ، وأطلعه على أسرار آياته والحكمة من خلقه فيكون مطلعاً مكاشفاً بما لا يكاشف به غير من عوام الناس أصحاب العلوم الرسمية الذين لا يعلمون إلا ظاهراً دون أن يصلوا أبداً إلى بواطن الآيات وأسرارها حينما تصفو صفحة القلب وتنقشع عن سمائه سحائب الشك والريب وفى هذا يذكر محمد ابن قطب الدين الخوبى " أن القلب إذا تصفوا سماؤه عن غمام الشك والريب ، ويتجلى فيه آيات الرب يصير الإيمان إحساناً ويعود كشفاً وعيانا ، وهنالك الولاية لله الحق"(١) .

وهى مرتبة الإحسان التى تكلم عنها النبى – ﷺ – : "وهى المرتبة الملازمة لتحقق القلب بمقام فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ورجلاً كما جاء فى الحديث القدسى وثرتها الروية فى ظاهر كل شىء بلا تمييز ولسانها ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله .. وسطها التحقق بحقيقة أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده وثمرتها الرؤية فى باطن كل شىء " (٢).

إن هذه الحالة من الكمال الأكمل هى حالة يقف فيها الكامل فوق أى نوع من فردانية الوجود فهو بروحه يسمو فوق التجزء أو الفردانية *Individualization*" (٣) ، كما يقول نيكلسون فى دراسته عن ابن عربى : إنه فوق مستوى ما هو ادنى ، ويواجه العرش بقلبه ، ويمثل عقله القلم ، وتمثل روحه اللوح المحفوظ . كما تمثل طبيعته العناصر ، وتمثل قدرته على استقبال كافة الأشكال الخيال ، كما يقف فى مواجهة الملائكة بفكره ، وفى مواجهة الشياطين والمدده بشكوكه ، وفى مواجهة الحشرات

---

(٦٥) محمد بن قطب الدين الخوبى : زبدة التحقيق ونزهة التوفيق ، ورقة ١١٨ .

(٦٦) المصدر السابق : ورقة ١١٨ .

(67) R.A. Nicholson: Studies in Islamic Mysticism; First Edition; 1921, Reprinted Delli 2009; p. 106.

بحيوانيته . وفى مواجهة كل نوع من أنواع الوجود فإنه ينشأ من نفسه شكلاً مضاداً " *Antitype* " [١] .

إن الإنسان الكامل يمثل عالماً أصغر " فذات الكامل هى حال من أحوال الذات الإلهية ، وروحه هى حال من أحوال الروح الكلى ، وجسمه حال من أحوال الجسم الكلى – العرش – وعلمه نسخة أو انعكاس للعلم الإلهى ، وقلب الإنسان الكامل يتطابق مع النموذج السماوى للبيت المعمور ، وملكاته الروحية تتطابق مع الملائكة " [٢] . وهو يواجه كل وجود بحاسه من حواسه كما قدمنا .

فهو إنسان كونى ، وعالم سماوى . وحقيقة روحيه كلية ، وهو عالٍ لأنه يسمو على المادة ، وكلى لأنه حال من أحوال الروح الكلية ، وملائكى لأن كل ملكاته قد تحولت إلى ملكات ملائكية ينشد السمو بما فيه من ملائكية ، ويدفع عنه الشياطين والمردة بما فيه من حذر وتوجس وشكوك فإذا صفت روحه أمكنه الإطلاع والاستطلاع وقيل فيه أنه الكامل أو المُطّلع .

هؤلاء المطلعون الجامعون بين الشهودين الذين شهدوا الحق حق الشهود وعرفوه حق المعرفة هم الذين تحققوا بالشهود الثابت لهم للحق سبحانه – كونهم يدركون به مظهريته سبحانه للحقائق وأحكامها . وهو قرب النوافل كما يذكر الفناري [٣] .

سابعاً : ميلاد المُطّلع أو الكامل وموته :

---

(68) Ibid., p. 106.

[٦٩] أبوالعلا عفيفى (الدكتور) : الفلسفة الصوفية عند يحيى الدين بن عربى ، ترجمة : مصطفى لبيب عبدالغنى ، المركز القومى للترجمة ، مصر ، ٢٠٠٩م ، ص ١٣٧ .

[٧٠] الفناري : مصباح الأنس ، ورقة ١٦٦ .

تلاحظ الباحثة أن محمد بن حمزة الفناري يربط بين الكمال والكامل وطهارة النشأة والأصل ، وتبدأ رحلة الكمال بالأمر الإلهى القاضى بوجود هذا الإنسان وهو الأمر المخرج له من " الوجود الغيبى إلى الوجود العينى على المقتضى العلمى " [١] .

ويقدم كل من : القُونوى والفناري صورة متكاملة لمرور الأمر الإلهى على العناصر والمولدات فيتخذ طريقة من خلالها فيمر أولاً بأعلى مستوى من النباتات التى تتناسب مع درجته وروحانيته ومقامه ، ثم يسوق القدر الإلهى إنساناً شاء الله أن يكون أبا حاملاً للأمر الإلهى القاضى بالروحانية والكمال فيتناول الأب هذا النبات ليكون غذاء مكوناً للنطفة الحيوانية التى تنتقل من صلب الرجل إلى رحم المرأة الأم ليكون هذا إيذاناً بميلاد إنسان سوف يتخذ رحلته صعوداً لاستكمال دائرة الكمال والإطلاع يقول صاحب مفتاح الغيب متحدثاً عن الأمر الإلهى الكمالى : " فيظهر أولاً فى أكمل نوع من النباتات الموجود فى الموضع المناسب لروحانيته ومقامه أو فى الموضع الذى فيه سكن أبويه فيقيض الحق له من شاء فيأخذ ذلك النبات فيوصله على الأبوين أو أحدهما أو يأخذه الأبوين ابتداء فيتناولان صورة ذلك النبات فى الوقت المناسب لمرتبته ومرتبة الأمر – الإلهى – الذى جاء مدرجاً فيه بموجب حكم الاسم الدهر فى العوالم التى مر بها ثم يستحيل هذا النبات غذاءً كليوساً – يعنى منهضما – ثم دماً ثم منياً متصلا بجسد الأبوين اتصال إرتقاء من الرتبة النباتية والجمادية إلى الرتبة الحيوانية متى يتعين وينتقل مادة صورته من الصلب إلى الرحم وذلك أول التعين الجمعى الظاهر منه وأول ظهور الاسم الجامع"[٢] .

---

[٧١] شارح مجهول : شرح مفتاح الغيب ، نسخة خطية رقم ٥٧٤ ، تصوف ، مكتبة طلعت ، بدار الكتب المصرية ، ورقة ١٩٤ .

[٧٢] صدر الدين القُونوى : مفتاح في الجمع والوجود ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

ويكون الميلاد الفعلى للكامل أو المُطّلع رهناً باللحظة التى يتم فيها استقرار الأمر الإلهى فى الرحم لقوله جل شأنه : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[١] . وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٢] . وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ [٣] .

وفى المستودع المختص بحفظ الأمر الإلهى وكمال النشأة الإنسانية أى فى رحم الأم ينشأ الكامل ويبرز من الغيب إلى الشهادة ويستمر فى رحلة الترقى حتى يبلغ درجة الكمال كما جاء فى مفتاح الغيب ، ولا يقدح هذا فى نزاهة الأمر الإلهى برغم أنه ينصبغ بحكم كل قوة من القوى السماوية الروحانية والأرضية الطبيعية إلى أن يصير إنساناً – كما يذكر الفنارى – فمادام متنزلاً كان فى حجور مرضعات تلك القوى إذ هى المربيات إلى أن تتم الدائرة – أى دائرة الكمال "[٤].

وقد لا تسير رحلة الكمال سيراً منتظماً ، أو أن الأمر الإلهى قد لا يجد ما ينقله من مرتبة إلى مرتبة أو أنه قد يعود إلى الرتبة الأدنى أكثر من مرة قبل أن ينتقل إلى الرتبة الإنسانية مما قد يعوق الأمر عن الوصول إلى مرتبة الكمال والإطلاع . فكلما كان هناك عودة على المراتب الدنيا باستمرار وكلما كثر تصادم الأمر بالقوى والخواص المودعة فى المراتب التى تمر عليها والمواد التى يتلبس بها الفساد والتكرار فإنه يكتسب الكيفيات المعنوية المودعة فيها – بمعنى أنه يصطبغ بأحكام الفساد الموجودة فيها – فإن كان الغالب من الجملة حكم المحمود منها والمناسب انتفع بها

---

[٧٣] سورة الحج : الآية (٥) .

[٧٤] سورة آل عمران : الآية (٦) .

[٧٥] سورة الأنعام : الآية (٩٨) .

[٧٦] الفنارى : مصباح الأنس ، مصدر سابق ، الورقة ١٨١ .

بعد كلفة ومجاهدة ، وإن كانت الأغلبية فى الحكم لغير المحمود قل علمه وتذكره لمراتب وجوده بل ربما خفى عليه ذلك بالكلية " [١].

ولكى يبلغ الأمر الإلهى المعنى بالإيجاد والكمال إلى مرتبة منتهى الكمال والإطلاع فإن الشيخ صدر الدين يصوره وكأنه يسلك طريقتين ويسير فى اتجاهين متناقضين اتجاهاً هابطاً من حضرة الثبوت إلى حضرة الوجود ، واتجاهاً صاعداً من حضرة الشهادة إلى حضرة الغيب ليعاود التحاقه بمرتبة الأكملية أو ليصل إلى رتبة كماله أو مرتبة تأنيسه " [٢].

ويفسر الفنارى هذا بقوله أن تحققه بهذه الحضرات والموجودات يجعل من هذه الحضرات كلها – صوراً " للتجليات التى هى فى ذاتها تجل واحد ينشب فى الظهور والبطون إلى كل قابل بحسب قابليته ، فهو الذى يقبل جميع أحكام المراتب مع تنزهه عنها فى ذاته كالوالديه والمولوديه ، والأبوه والأمومه ، والرضيعيه والمرضعيه ولا يقدح فى نزاهته ... مع قبوله حكم كل متغير فى ذاته فمن لوزامه أن يصدق عليه المتقابلات والمتضادات ، وكل نفى وإثبات لكن بالاعتبارات " [٣].

ويمكن تمثيل رحلة نزول الأمر الإلهى مروراً بالمرائي على النحو التالى:

مرتبة غيب الجمع والوجود

---

(٧٧) صدر الدين القُونوى : مفتاح غيب الجمع والوجود ، ص ١٤٤ .

– راجع : إبراهيم إبراهيم ياسين (الدكتور) ، صدر الدين القُونوى وفلسفته الصوفية ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ٢٠٠٣م ، ص ١٢١ .

(٧٨) صدر الدين القُونوى : رسالة التوجه الأعلى إلى الحق جل وعلا ، نسخة خطية ١٣١٨م ، تصوف ، مكتبة طلعت، دار الكتب المصرية ، ورقة ٦١ .

(٧٩) الفنارى : مصباح الأنس ، ورقة ١٨١ .

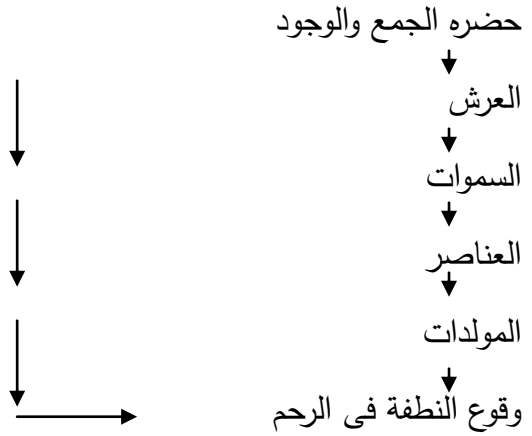

ويشير هذا الشكل إلى مرور الأمر الإلهى على المراتب فى طريق النزول ليتكسب الروحانية من مرتبة الأرواح ، ويكتسب المثالية من مرتبة المثال. ثم عالم المعانى ، ثم عالم الأجسام كل هذا يأتى بعد أن يخرج من الحضرة العمائية باعتبارها أول تجل للذات ، ثم بمقام القلم الأعلى ، ثم باللوح المحفوظ ... الخ " [١].

ويطلق القُونوى على هذا مصطلحاً محملاً بالمعانى الفلسفية يسميه " معراج التحليل " [٢] أى أن الأمر الإلهى يكتسب من كل مرتبة صفه تضاف إلى صفاته ثم هو يعاود التخلص من هذا الصفات أو يتحلل منها فى رحلة صعوده .

ويظهر معراج التحليل فى رحلة الصعود على النحو التالى :

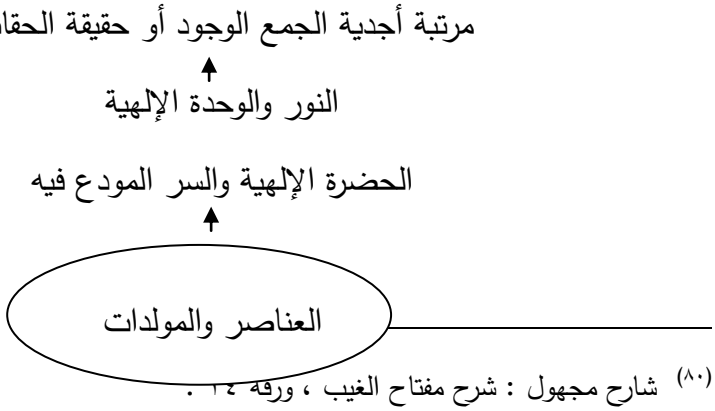

(٨٠) شارح مجهول : شرح مفتاح الغيب ، ورقه ١٤ .

(٨١) صدر الدين القُونوى : مفتاح الغيب ، ص ١٣٨ .

↑
عالم الكثرة
↑
فلا يمر الأمر الإلهى بحضرة ولا قلك إلا ويترك
↑
عنده الجزء المناسب الذى أخذه حال مجيئه الأول

ولأن القُونوى يجعل من المعراج دائرى لا خطى فإنه يتحدث عن دائرة كاملة تنتهى عند بدايتها وتبدأ عند نهائيتها ، فالمراتب الصاعدة نحو مرتبة الكمال مرتبة ترتيباً دائرياً يتفاوت طبقاً لدرجة قربها أو بعدها عن حقيقة الحقائق التى هى للحق من جانب وللخلق من جانب يقول القُونوى " فالأمر دائرة والسير دورى لا خطى. فمن قدر له إتمام الدائرة تم له السلوك وكمل " [١].

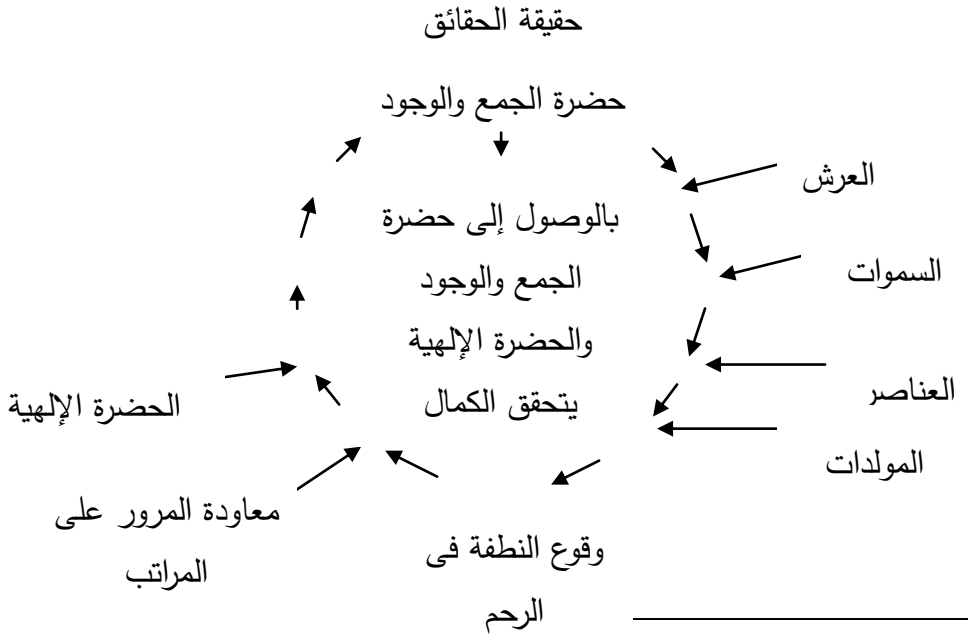

(٨٢) المصدر السابق : ص ١٥٣ .

ويؤكد الفنارى على رحلة الأمر النازل من حضرة أحدية الجمع إلى حين استقراره بصورة الجمع بقوله " التجلى الأول الذى هو أم الكتاب الأكبر وصلت منه حضرة أحدية الجمع وإنتشت منه وتعين منها الإنسان الذى هو آخر مولود منه صورة حضرة أحدية الجمع .. إن الأمر النازل ينعطف من صورة الإنسان إلى الحقيقة الكمالية المختصة به المسماه بحقيقة الحقائق . دائرة تامةِ والمرضعات مراتب استيداعه من حين إفراد الإرادة له من عرصة العلم باعتبار نسبة ظاهريته لا نسبة ثبوته وتسليمها إلى القدرة ثم تعينه فى القلم الأعلى فى المقام اللوحى ثم فى مرتبة الطبيعة ثم العرش ثم الكرسى ثم فى السموات السبع ثم فى العناصر ثم فى المولدات إلى حين استقراره بصفة صورة الجمع " [١].

فإذا ما اكتملت رحلة نزول الأمر الإلهى المعنى بالإيجاد والكمال عاوده صعوده مرة ثانية متخذاً معراجاً أسماه الشيخ بمعراج التحليل يتجه فيه نحو الأعلى أى العالم العلوى فلا يمر من حيث مفارقته الأرض يا سطقس ولا حضره ولا فلك إلا ويترك عند الجزء الذى أخذه حال مجيئه الأول . فعلم قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [٢]. وهذا الترك عبارة عن إعراض روحه عن ذلك الجزئ والتعشق بتدبيره وضعف حكم المناسبة التى كانت بينه وبين ذلك الشىء بغلبة حكم الارتباط الذاتى بينه وبين الحق " [٣].

---

(٨٣) صدر الدين القُونوى: مفتاح الغيب ، ص ١٣٨ .

(٨٤) سورة النساء : الآية (٥٨) .

(٨٥) صدر الدين القُونوى: مفتاح الغيب ، ص ١٤٠ .

فإذا ما أندمج الأمر الكمالى فى الأمر الإلهى الكلى وسار فى السموات مرتبة بعد مرتبة ووصل إلى مرتبة الكمال من خلال دورته الكمالية الدائرية فإنه يظل محفوظاً بالعناية الإلهية إلى أن يحين موعد موت الإنسان وينتهى اجل الكامل أو المُطّلع فإن الله يميته بأحد الطرق الثلاثة الآتية :

أولاً : امتلاء الوعاء القابل للمدد الإلهى الحافظ لبقاء الإنسان الكامل ويصبح غير قادر على قبول هذا المدد بل ويفقد استعداده لقبوله فيكون هذا إيذاناً بانتقال المدد إلى إنسان آخر ، وهو موت الإنسان الكامل الذى يعنى فى الوقت نفسه الحياة لغيره أو للآخر الذى انتقل إليه المدد .

ثانياً : يموت الإنسان الكامل عند ما تتغير طبيعة المدد الإلهى الذى به بقاؤه فيأتى منافياً أو مخالفاً لما كان يتلقاه القابل ، فيمتنع عن قبوله . فيكون موت الإنسان الكامل نتيجة لهذا التغير .

ثالثاً : يموت الإنسان الكامل بسبب حدوث غفلة توجب انقطاع المدد . بمعنى انقطاع وصول الروح إلى الإنسان بسبب الغفلة ، فتكون هذه الغفلة من نوع الأمر القاضى بموت الإنسان الكامل " [١].

ومن الملاحظ أن الفنارى يتابع صدر الدين القُونوى فى الاعتقاد بأن موت الكامل ، أو المُطّلع لا يحدث إلا طبقاً لاختياره وإرادته ، وهى فكرة تبدو غريبة إلا أنه يستند فيه إلى ما روى عن النبى – ﷺ – من انه اختار الرفيق الأعلى وهو على فراش الموت لأنه أكمل أفراد الإنسان الكامل .

---

(٨٦) راجع : صدر الدين القُونوى : النفحات الإلهية ، نسخة رقم ١/٦/٤٥٦٨/ب ، مكتبة قونية، ورقة ٦٧ .

– راجع أيضاً : إبراهيم إلراهيم ياسين (الدكتور) : مفتاح الغيب ، ص ٢٢٤ .

فلا عجب فى نظر الفنارى أن يكون الكامل المُطّلع متخلقاً بأخلاق ربه ومولاه " فلا عجب – كما يقول – أن يكون الكامل على خلق مولاه " [١].

فكأن الكامل المُطّلع هو النبى – ﷺ – ، وكأن أفراد الكمل هم سلسلة الأنبياء منذ آدم وحتى محمد – ﷺ – الذى يظهر فى فكر القُونوى كحقيقة إلهية أو كلمة إلهية جامعة ، أو ما أسماه الحقيقة المحمدية الكلية المنفصلة عن أفرادها والمتعينة أزلا بالعلم الإلهى والتى هى جماع الأسماء والصفات الإلهية – وأما محمد البشر الإنسان – فقد اختص بما أختص به كافة الأنبياء من قبله . إذ أنه اوتى علم الأولين والآخرين ، وانفرد بكونه النبى الخاتم التى جعلت له الأرض مسجداً " وترابها طهوراً " [٢].

ثامناً : النتائج :

استطاعت الباحثة أن ترصد العديد من النتائج الهامة التى تمخضت عنها هذه الدراسة منها على سبيل المثال :

أولاً : يظهر الشيخ محمد بن حمزه الفنارى شارح مفتاح الغيب ، كواحد من أهم شراح هذا المصنف الذى ساهم فى بناء نظرية الإنسان الكامل ، فقد جاء شرحه الموسوم " مصباح الأنس بين المعقول والمشهود فى شرح مفتاح غيب الجمع والوجود " مصنفاً جديداً ومتميزاً يضيف سفراً هاماً من أسفار نظرية الكمال أو الإطلاع والمُطّلع والكامل .

---

(٨٧) الفنارى : مصباح الأنس ، ص ٢٧٥ .

(٨٨) صدر الدين القُونوى : الفكوك ، نسخة خطية رقم ٣٢٣ ، دار الكتب المصرية ، الورقة ٥٨ ، ٥٩ ، ٨٣ .

ثانياً : يعالج الفنارى نظريته فى الكمال من خلال نظريته الخاصة فى المُطّلع والتى تعد تطوراً بارزاً فى فكرة الكمال فهو المُطّلع والمكاشف ، والمشاهد ، وهى التى تعنى انكشاف وجه الحق فى الأشياء والمُطّلع هو الواصل إلى مقام شهود الحق فى كل شىء . والإطلاع بهذا المعنى يكون معاينه شهودية يحظى فيها السالك الواصل للكمال برؤية خفايا الملك والملكوت رؤية ذوقية قلبية .

ثالثاً : الإطلاع هو مقام النبوة ، وهو مطلع له خاصية الإطلاع على الأطراف فهو بلسان القرآن رجال الأعراف الذين وصفهم القرآن بقول الحق جل شأنه ﴿ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ ﴾ .

رابعاً : يتفق الفنارى مع الشيخ الأكبر ابن عربى على أن المُطّلع هو من وصل إلى مرتبة استكشاف حقائق الغيب ومشاهدة المطالع والمجالى .

خامساً : قد تعود جذور هذه الفكرة إلى جذور يونانية أرسطية تتجلى فى فكرة " الطباع التام " الذى يفتح مغاليق الحكمة ، ويستلهم أو يلهم مفاتيح الأبواب المغلقة ، والطباع التام يستقى الحكمة من مصدر لا يفنى وعلم يقينى باق على الدوام أو من قوة عالية رفيعة وروحانية . قوة علوية تنير ظلام النفوس ، وتظهر عن سرائر الخليقة وأسرارهم وعلومهم .

سادساً : يبدو تطور نظرية المُطّلع واضحاً فى نظرية إخوان الصفا حول الإنسان الفاضل الذى يوجد فى كل زمان وكل مكان ، أو الإمام الحىّ القائم فى كل مكان وكل عصر . وهم حملة الوحىّ والوسطاء الروحانيين بين العالم العلوى والعالم السفلى .

سابعاً : الإنسان المطلع أو الكامل هو إنسان لا زمانى ولا مكانى وهو نقطة التقاطع بين عالم الزمان وعالم الأزل ، لذلك فالمطلع هو القطب الذى خصه الله بمعرفة أسرار القرآن وخفايا معانيه .

ثامناً : يرتبط مقام الإطلاع بمراتب الإيمان والإحسان ومراتب استجابة الدعاء إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وهى المراتب التى تصل بالعبد إلى التحقق بمرتبة الحب المتبادل بين العيد والرب ليصبح الرب للعبد سمعاً وبصراً ويداً ولساناً .

تاسعاً : إن وجود المطلع أو الكامل يظل رهناً بالأمر الإلهى القاضى بوجود إنسان كامل واصل بإذن الله إلى مرتبة النبوة ماراً على مراتب التحليل ، أو معراج التحليل نزولاً من الغيب إلى الشهادة ، ثم صعوداً من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ليترك الامر الإلهى فى رحلة الصعود كل ما تليس به من عالم الكون والفساد ليعاود إلتحاقه بمرتبة الأكملية .

عاشراً : إن أفضل ما فى هذه النظرية أنها أحالت الأمر كله إلى مقام النبوة ، ومرتبة الأنبياء ، ثم أنها أفردت للنبى محمد – ﷺ – مقاماً فى أعلى مراتب النبوة باعتباره النبى الخاتم والنبى الأكمل ، وصاحب مقام الإطلاع والكشف .

المراجـــــع :

أولاً : المصادر والمخطوطات :

١ – ابن عربى : الفتوحات المكية ، الهيئة العامة لكتاب ، نشره : د. عثمان يحيى، ود. إبراهيم مدكور: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٤م، جـ ٢، ص ١٧٧

٢ – صدر الدين القونوى : الفكوك ، نسخة خطية رقم ٣٢٣ تصوف ، مكتبة طلعت ، بدار الكتب المصرية ، ص ٥٧ .

٣ – صدر الدين القُونوى : رسالة التوجه الأعلى إلى الحق جل وعلا ، نسخة خطية ١٣١٨م ، تصوف ، مكتبة طلعت، دار الكتب المصرية ، ورقة ٦١ .

٤ – صدر الدين القُونوى : النفحات الإلهية ، نسخة رقم ١/٦/٤٥٦٨/ب ، مكتبة قونية، ورقة ٦٧

٥ – صدر الدين القُونوى : مفتاح الغيب ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٧٣م تصوف .

٦ – صدر الدين القُونوى : الفكوك ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، مجموعة خطية رقم ٣٤٣ .

٧ – صدر الدين القونوى ، إعجاز البيان فى تفسير أم القرآن ، طبعة حيدر آباد الدكن ، ١٣٨١هـ .

٨ – طاش كبرى زاده : الشقائق النعمانية ، دار الكتاب العربى .

٩ – محمد بن حمزة الفناري : مصباح الأنس بين المعقول والمشهود فى شرح مفتاح غيب الجمع والوجود ، نسخة خطية رقم ١١٨٨ تصوف ، مكتبة طلعت ، بدار الكتب المصرية، المقدمة .

١٠ – محمد بن قطب الدين الخوبى الأزنيقى : زبدة التحقيق ونزهة التوفيق ، نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٠٤٧ تصوف ، مكتبة طلعت .

ثانياً : المراجع العربية :

١١ – إبراهيم إبراهيم ياسين (الدكتور) : صدر الدين القونوى وفلسفته الصوفية ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢م.

١٢ – إبراهيم إبراهيم ياسين (الدكتور) ، صدر الدين القُونوى وفلسفته الصوفية ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ٢٠٠٣م .

١٣ – إبراهيم بك حليم : تاريخ الدولة العثمانية ، مؤسسة الكتب الثقافية ، مصر، ١٤٠٨هـ .

١٤ – أبوالعلا عفيفى (الدكتور) : الفلسفة الصوفية عند محيى الدين بن عربى ، ترجمة : مصطفى لبيب عبدالغنى ، المركز القومى للترجمة ، مصر ، ٢٠٠٩م.

١٥ – حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، دار إحياء التراث العربى ، بدون تاريخ .

١٦ – خير الدين الزركى : قاموس الأعلام ، دار القلم للملايين ، طبعة بيروت، ٨٣٣ هـ .

١٧ – د. جبور عبداللطيف : إخوان الصفا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٥٠م .

١٨ – رسائل إخوان الصفا : طبعة القاهرة ١٩٢٨م ، الرسالة الجامعة ، الجزء الأول ، ص ٢٩. وكذلك : ص ٦٣٥ ، ٦٣٨ .

١٩ – سعاد الحكيم : المعجم الصوفى ، الحكمة فى حدود الكلمة ، طبعة بيروت، ١٩٨١ .

٢٠ – شارح مجهول : شرح مفتاح الغيب ، نسخة خطية رقم ٥٧٤ ، تصوف ، مكتبة طلعت ، بدار الكتب المصرية.

٢١ – شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوى : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، مكتبة القدسى ، القاهرة ، طبعة مصر ، ١٣٣٥هـ .

٢٢ – الشوكانى : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، المجلد الثانى ، مطبعة السعادة ، طبعة أولى ، مصر ، ١٣٤٨هـ .

٢٣ – طاش كبرى زاده : الشقائق النعمانية فى مشكلات الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربى ، مصر ، ١٣٩٥هـ .

٢٤ – عبدالرحمن بدوى (الدكتور) : الإنسانية والوجودية فى الفكر العربى ، دار القلم ، بيروت، ١٩٨٢م .

٢٥ – الفارابى : شرح نصوص الحكم المعروف بنصوص الكلم ، لمحمد بدر الدين الحلبى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٥هـ .

٢٦ – كمال عبدالرازق القاشانى : إصطلاحات الصوفية ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٨١م .

٢٧ – محمد بن قطب الدين الخوبى ، زبدة التحقيق ونزهة التوفيق ، نسخة خطية رقم ١٠٤٧ ، تصوف ، مكتبة طلعت .

٢٨ – محمد حرب : العثمانيون فى الحضارة الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الأولى ، بدون تاريخ .

٢٩ – محمد فريد حجاب : الفلسفة السياسية عند إخوان الصفا ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

٣٠ – د. منصور الشطى : تأنيس الإنسان ، مراجعة : الدكتور إبراهيم إبراهيم ياسين ، دار بلال للطباعة ، المنصورة ، ٢٠٠٣م .

٣١ – ياسر بن محمد بن صالح : تحقيق كتاب فصول البدائع لشمس الدين الفنارى ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، فى جامعة أم القرى ، بدون تاريخ.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

32 - Hellmut Ritter Autographs in Turkish Libraries; Oriens Journal of International Society; Oriental Research; E. J. 1953, Vo., 6, p.p. 70 - 75

33 - R.A. Nicholson: Studies in Islamic Mysticism; First Edition; 1921, Reprinted Delli 2009; p. 106.

الهوامش :

١ – القرآن الكريم

سورة الحج : الآية (٥) .

سورة الكهف : الآية (١٧) .

سورة طه : الآية (١٣٠) . واللفظ فى سورة (ق) الآية (٣٩) .

سورة الكهف : الآية (٩٠) .

سورة آل عمران : الآية (١٧٩) .

سورة مريم : الآية (٧٨) .

سورة آل عمران : الآية (١٤) .

سورة الروم : الآية (٧) .

سورة البقرة : الآية (٢٠٠) .

سورة البقرة : الآية (٢٠١) .

سورة النجم : الآية (٣٩) .

سورة آل عمران : الآية (٦) .

سورة الأنعام : الآية (٩٨) .

سورة النساء : الآية (٥٨) .

تم بحمد الله ،،